الصداقة شىء والمبادئ شىء آخر

قد تتوثق الصداقة بين شخصين أو أشخاص، فتبلغ مبلغ الأخوة أو تزيد عليها قدرًا. وهى ليست بالعبء الهين، فهى شبيهة عند رجال القانون بحق الارتفاق.

والصداقة عند من يقدرها تبلغ المبلغ الذى قال عنه الشاعر:

إنَّ صديق الصدق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك شتتت فيك شمله ليجمعك

لكنَّ أحدًا لم يقل إنَّ الصداقة مهما بلغ عبئها، أو فرضت واجباتها، تجيز فى سبيل الاحتفاظ بها، أو الحرص عليها، تغيير المذهب، أو الرأى أو العقيدة.

كما أنَّ مخاصمة الناس بعضهم البعض، لاختلاف فى المذهب أو الرأى أو العقيدة، إسراف غير مقبول وتصرف غير جائز. إنك تستطيع أن تظل صديقًا لصديقك ولكل وجهة هو موليها، ولكنه لا يليق بك أن تجامل صديقك على حساب رأيك وضميرك.

إنَّ صداقتى بدولة رئيس الوزراء قديمة، اعتززت بها وحرصت عليها. وكنت أتمثل بمثله، وأتحلَّى بأدبه، وأغترف من علمه، لكنه يوم اختلف فى الرأى مع إخوانه لم أتبعه فى رأيه كواحد من أنصار الوفد الأقدمين. ومع هذا حرصت على صداقته، لكنه هو اعتزلنا جميعًا، ولكم حاولنا نحن الأصدقاء الشخصيين أن نحول دون القطيعة، مع احتفاظ كل برأيه فلم نوفق..

أقول هذا كله لأنَّ كلامًا أثير فى اجتماع الهيئة الوفدية عن الصداقة.

أقوله لأنَّ كل مقابلة لدولة رئيس الوزراء فسرت بأنها اتجاه نحو سياسته وانضمام إليه. هكذا سلكت سبيلها بعض الجرائد والملات فى التفسير، وانكشف أنَّ بعض من قابلوا دولته إنما قابلوه لشئون لا تمت إلى السياسة بسبب، فهم لم يقابلوه ليقدموا مبدأهم قربانًا بين يديه.

ليته أتيح لدولة رئيس الوزراء أن يشهد اجتماع الهيئة الوفدية عن قرب ليرى أنَّ أشد الناس تمسكًا بصداقته كان يفصل بين الصداقة والرأى فى وضوح وصراحة.

إنَّ الهيئة الوفدية قد أيدت الوفد فى قراراته بعد مناقشات حرة وطويلة فى إجماع لم يشذ عنه إلا عضو واحد انصرف عند طلب الرأى وقبل إبدائه.

على أننى لست أدرى لم تحرص الجرائد والمجلات على إبراز معنى خاص لتلك المقابلات، ورئيس الوزراء رآنا هيئة ملوثة. أليس من مصلحته أن يبتعد عن أولئك الملوثين أو المشبوهين حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

وكيف يتحدث دولته عن «الأخيار» والتطهير لم يبدأ بعد.

ألا يحسن بدولته أن ينتظر ربما وجدنا جميعًا من الأخيار فلا يأنف أن يعود إلينا، أو ربما وجد العكس فلم يتعجل الأمور؟

إنَّ دولته ليس وراءه حزب، وهو قد اكتفى بأحزاب الأقلية، فليسربها فى سياسته، وليحاولوا هدم الوفد، فالوفد لن يهدم.

لقد حاولت ذلك بريطانيا منذ تألف الوفد فى سنة 1918، وقد فشلت كل محاولة، ولعلنا بصدد محاولة جديدة.

إنَّ الوفد حصن البلاد الحصين، وسيبقى كذلك، وسيأتى اليوم القريب الذى يتابع الوفد فيه سياسته وخطته ضد المستعمرين.

إنَّ الصداقة لا تصلح دعامة تقوم عليها الأحزاب السياسية، إنما تقوم الأحزاب على اتفاق الآراء والمبادئ. وإنَّ غدًا لناظره قريب.